

## عن الاهتمام بالنفس وتطوير العقل والتربية

### اللاهوت الأخلاقي - ١٠

#### الميتروبوليت فيلاريت فوزنسكي

يعترف علم النفس بثلاث قوى أو قدرات رئيسية في نفس الإنسان: العقل، العواطف أو القلب، والإرادة. يدرك الإنسان العالم من حوله وحياته وجميع تجارب نفسه الواعية بعقله. يتفاعل الإنسان مع تأثير العالم الخارجي وانطباعاته على تجاربه الخاصة بعواطفه أي بقلبه. بعض هذه التجارب تكون ممتعة فيحبها؛ والبعض الآخر كرهه وبمقتها. لا يتوافق الناس فيما بينهم من حيث "جمال" و"كراهة" الأشياء التي يحبونها أو يبغضونها. ما يحبه أحدهم لا يحبه الآخر دائماً والعكس صحيح. (من الأمثال: "لا يجادل المرء في الذوق") ثالثاً، إرادة الإنسان هي تلك القوة الموجودة في نفسه، والتي من خلالها يدخل العالم ويتصرف فيه. تعتمد الشخصية الأخلاقية للإنسان إلى حد كبير على خاصية واتجاه إرادته.

بالعودة إلى مسألة تنمية الشخصية الروحية، نحتاج أن نلاحظ أنه، في عملنا مع أنفسنا، مع "الأنا" عندنا، على الإنسان أن يطور العقل والقلب والإرادة وكل مَلَكات نفسه، وذلك بطريقة مسيحية مناسبة. يتطور العقل أولاً وقبل كل شيء وبشكل أساسي من خلال دراسة العلوم، أي بالتربية. لا ينبغي للإنسان أن يعتقد أن المسيحية تعتبر الدراسات أو التعليم "المدني" غير ضروري أو حتى ضاراً. إن تاريخ الكنيسة القديمة بكامله يتحدث ضد هذا الرأي الخاطئ. يكفي أن ننظر إلى ثلاثة معلمين وقديسين عالميين عظماء، هم القديسون باسيليوس الكبير وغريغوريوس اللاهوتي ويوحنا الذهبي الفم. لقد كانوا أكثر الناس تعلماً في زمنهم، بعد أن أكملوا دراسةً ممتازةً لعلوم عصرهم المدنية المحضة. ومع أن هذا العلم كان يحمل وصمة وثنية واضحة، إلا أنهم كانوا قادرين على استيعاب العناصر الضرورية والمفيدة وتجاهل ما هو غير ضروري وغير صحي.

يجب علينا أكثر من ذلك بكثير أن نقدّر التعليم العلمي المدني الآن بعد أن اختفت الإضافات الوثنية السابقة، وصار العلم يسعى جاهداً لإثبات الحقيقة الصافية. صحيح أنه حتى اليوم، يفترض العلماء خطأً أن العلم يتعارض مع الدين، ويضيفون وجهات نظرهم المعادية للدين إلى الحقائق العلمية. لكن العلم البحث ليس مذنباً في هذا. لطالما رحّبت المسيحية بالتربية المدنية الجادة وباركتها، حيث يتم تكوين وتقوية البصيرة والقدرة العقليتين.

إن المسيحي، بتلقيه تعليماً مدنياً، يعطي معنى أكبر للتربية والتنشئة الدينييتين. علينا أن نتذكر أن المسيحية ليست المجال الحصري للخبرات والمشاعر الدينية. لا، فالمسيحية هي دورة كاملة مطلقة، ونظام معرفة متناغم الأجزاء، والمعطيات الأكثر تنوعاً، وهي لا تتعلق بالدين وحسب، بل بالعلوم أيضاً. كيف يمكننا، نحن

المسيحيين، ألا نعرف حياة مخلصنا ومعجزاته وتعاليمه؟ وكيف يمكننا أيضاً ألا نعرف تاريخ كنيستنا المقدسة، والخِدْم الإلهية التي يجب أن نعرفها ونفهمها وبالتالي ندرسها؟

إن المسيحية، كنظام متنوع علمي كامل، تظهر على هذا النحو في مواد الأخلاق المسيحية وتعاليم الإيمان في المدرسة الثانوية. تظهر المسيحية أمامنا كأغنى نظام فلسفي يشمل ويشرح كامل العالم والإنسانَ لنفسه، مما يشير إلى المعنى الحقيقي والهدف الحقيقي لحياته على الأرض.

يجب أن نتذكر أيضاً أنه، عندما يتلقى الإنسان معرفة كاملة لحقيقة الله من خلال دراسة الدين، عليه أن يدرك هذه الحقيقة ويخدمها ويستمتع إلى صوتها. قال المسيح بنفسه أن "من ليس معي فهو عليّ..." وفي ما يتعلق به وبمشيئته المقدسة وناموسه، فإن اللامبالاة والبرودة وعدم الوفاء لهذا الناموس هي أمور مدمرة للنفس، مما يجعل الإنسان عدواً للمسيح ولحقيقته. لهذا السبب يجب ألا ننسى أبداً كلماته: "لماذا تدعونني: يا رب، يا رب - ولستم تفعلون ما أقوله؟" وعلى المنوال نفسه، قال رسوله: "لأنَّ لَيْسَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ النَّامُوسَ هُمْ أَبْرَارٌ عِنْدَ اللَّهِ، بَلِ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ بِالنَّامُوسِ هُمْ يُبْرَرُونَ" (رومية ٢: ١٣).

Source: Metropolitan Philaret (Voznesensky). Moral Theology. Chapter 10. Parish Life, St. John the Baptist Cathedral, Washington, DC. July 2022. 6/30/2022. <https://orthochristian.com/146972.html>